

ملخص

شرح القواعد الأربع

للشيخ أبي يوسف مصطفى مبرم

-حفظه الله-

❖القاعدة الثانية

تضمّنت هذه القاعدة أنّ شرك المشركين إنّما هو في طلب القربة وفي طلب الشفاعة.

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" : (فأخبر تعالى عن المشركين أنّهم كانوا يقرّون بأنّ خالق العالم واحد مع إتخاذهم آلهة من دونه سبحانه يتخذونهم شفعاء إليه ويتقرّبون بهم إليه).

- الشيخ محمّد بن عبد الوهّاب ذكر هذين الأمرين وقد ذكرهما شيخ الإسلام رحمه الله تعالى قبله.

- الفرق بين القربة وبين الشفاعة من جهة العموم والخصوص

القربة أعمّ من الشفاعة ، فالقربة كلّ ما يُتقرّب به إلى المتقرَّب إليه ، ومن جنس ما يُتقرَّب به إليه الشفاعة التي هي نوع طلب من الشافع إلى المشفوع إليه .

فالشفاعة أخصّ لأنّها نوع دعاء ، والقربة أعمّ.

- الدّليل على أنّ شرك المشركين كان في طلب الشفاعة من الآلهة التي يعبدونها من دون الله قوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللّهِ ما لا يضرّهمْ ولا ينْفعهمْ ويقولون هٰؤلاءِ شفعاؤنا عِنْد اللّهِ) [يونس:١٨] فالله تبارك وتعالى جعل طلبهم للشفاعة من هذه الآلهة عبادةً لهم فقال: (ويعْبدون مِنْ دونِ اللّهِ)

- قوله :(مِنْ دونِ اللّهِ) : تأتي في القرآن ويراد بها :

☒عبادة غير الله إستقلالاً بمعنى أنه يعبد غير الله ولا يعبد الله تعالى ولا يلتفت بقلبه إلى الله ولا بعبادته إلى الله.

☒وتأتي ويكون معناها عبادة الله وعبادة غيره معه وكلّ هذا شرك بالله .

- الشفاعة مأخوذة من الشفع الذي هو ضدّ الوِتر أو الوَتر وهما لغتان وبهما قرأ القرّاء رحمهم الله تعالى، فهي أن يُضَمَّ صوت إلى صوت ليُشفَعَ عند المشفوع إليه وهذه حقيقة الشفاعة.

وعلى هذا فالشفاعة نوع من الدّعاء .

- الفرق بين التوسّل وبين الشفاعة :

☒التوسّل لا يكون فيه شافع يدعو للمشفوع له،فالمتوسّل يتوسّل بمن لا وجود له أو بمن هو غائب.

☒والشّفاعة يكون فيها شافع يدعو لهذا المشفوع له . فالشافع يستشفع بمن هو موجود، فالصّحابة كانوا يستشفعون بدعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وهذا الأمر يخلط فيه كثير من النّاس ، فيجعلون التوسّل هو الشفاعة ، وكثير من العامّة يستعملون لفظ الشّفاعة في معنى التوسّل يقول شيخ الإسلام: (كثير من العامّة يستعملون لفظ الشّفاعة في معنى التوسّل فيقول أحدهم اللّهم إنا نستشفع إليك بفلان وفلان أي نتوسّل به ويقولون لمن توسّل في دعائه بنبيّ أو غيره قد تشفَّعَ به من غير أن يكون المستشفِع أو المستشفَع به شفع له ولا دعا له بل وقد يكون غائباً لم يسمع كلامه ولا شفع له وهذا ليس لغة النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء الأمّة بل ولا هو لغة العرب فإنّ الاستشفاع طلب الشفاعة والشافع هو الذي يشفع السائل فيطلب له ما يطلب من المسؤول المدعو المشفوع إليه)

- ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "التوسّل والوسيلة" وفي غيره من كتبه أنّ الشرك راجع إلى نوعين من الشرك:

- إلى شرك الكواكب، والأجرام السماوية، وهو شرك قوم إبراهيم.
- وإلى الشرك في الصّالحين وعبادتهم وهو شرك قوم نوح



وهؤلاء المتأخرون من العرب جمعوا بين الأمرين، جمعوا بين الشرك في صور هذه التماثيل وهذا الغالب فيهم وبعضهم كان يعبد النّجوم والكواكب ويصوّر صورها .

▪ أقسام الشفاعة:

الشفاعة شفاعتان:

شفاعة منفية: يعني نفتها نصوص القرآن .وهي ماكانت تُطلب من غير الله في ما لا يقدر عليه إلاّ الله.

وشفاعة مُثبتة: أثبتتها نصوص القرآن. وهي التي تُطلب من الله.

و الشفاعة شفاعتان من جهة أخرى:

١- شفاعة في الدنيا .

٢- وشفاعة في الأخرة .

أما الشفاعة في الدنيا فقد قال الله عز وجل (مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا) ، يكون لك جاه عند ولي أمر أو وزير أو ما أشبه ذلك ، وهناك إنسان ضعيف ليس له أحد يقوم به فتستخدم جاهك في أن تطلب حاجتك أو حاجته من هذا المسؤول أو من هذا الملك ...لأن يقضيها ، هذه شفاعة جائزة ، أو أن تشفع أنت في الجمع بين أثنين كما أن النبي عليه الصلاة والسلام لما أعتقت بريرة رضي الله عنها وجاء مغيث باكياً أمر النبي عليه الصلاة والسلام أو كلمها وقالت [أتأمر ؟ قال لا إنما أنا شافع] ، يعني أشفع فقط ، وهذا دليل عند الأصوليين على أن الأصل في الأمر إقتضاء الوجوب .

والشفاعة الممنوعة في الدنيا مثل الشفاعة في إسقاط حدّ من حدود الله كما جاء في حديث أسامة بن زيد [أتشفع في حد من حدود الله؟] .

- أخذ المصنّف كلامه عن الشفاعة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوّات وفي كتاب الصّفدية.

ضابط الشفاعة المنفية

ماكانت تُطلب من غير الله في ما لا يقدر عليه إلاّ الله

ضَعْ على هذا الضّابطِ خطّا وأحفظ هذا الضابط حفظا مُتقَناً وإن كنت قد حفظت القواعد الأربع لأنّه سيجري معك في كلّ ما هو شرك بالله تعالى من جنس ما يُقيَّد فيه المقدرة من المطلوب منه كالاستغاثة فتقول:

الإستغاثة: ما كانت تُطلب من غير الله في ما لا يقدر عليه إلاّ الله .

الإستعانة: ماكانت تطلب من غير الله فيما لايقدر عليه الا الله .

هذا الضّابط نافع وجامع للشرك أو لأنواع الشرك في باب الإستعانة ، الاستعاذة ، الاستغاثة ، الشفاعة وهكذا.

- دليل الشّفاعة المنفية قوله تعالى ﴿يا أيّها الّذين آمنوا أنْفِقوا مِمّا رزقْناكمْ مِنْ قبْلِ أنْ يأْتِيَ يوْمٌ لا بيْعٌ فِيهِ ولا خلّةٌ ولا شفاعةٌ والْكافِرونَ هُمُ الظّالِمون﴾.
- نفى الله تبارك وتعالى الشفاعة عن الكافرين فقال:(والْكافِرون هم الظّالِمون)لأنّ هذه الشّفاعة التي يزعمونها ويدّعونها في آلهتهم ،ويزعمون أنّ آلهتهم تملكها في الدنيا وتملكها في الآخرة نفاها الرّب جلّ وعلا فقال: (ولا شفاعةٌ) فليس لهم شفاعة وليس لهم شفعاء.

الشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله ، وهذا هو التوحيد وهذا
تعريف العبادة وتعريف الإستغاثة وتعريف الإستعانة فتقول:
الإستعانة هي التي تُطلب من الله يعني إستعانة العبادة والتوحيد.

- الشّفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، لأنّ الله جلّ وعلا قال (قلْ لِلّهِ الشّفاعة جميعًا) ، وقدّم ما حقّه التأخير لإفادة الحصر يعني قدّم الجار والمجرور ، فالشّفاعة لله، فإذا كانت لله ملكاً فإنّها لا تُطلب إلاّ من الله .
- الشّفاعة إذا قام بها الشّافع فإنّه لا يقوم بها إستقلالاً ولا يملكها إستقلالاً ، بل هي من كرم الله لذلك الشّافع.
- شروط الشفاعة المثبتة

☒ الإذن للشّافع :كما قال تعالى: (منْ ذا الّذِي يشْفع عِنْده إلّا بِإِذْنِه)

الرِّضى عن المشفوع : والذي رضي اللهُ قوله وعمله هو الموحِّد كما جاء في الصحيحين في حديث أبي هريرة: [من أحق النّاس بشفاعتك ؟ قال من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه] أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، وكما قال جلّ وعلا (ولا يشْفعون إِلّا لِمنِ ارْتضىٰ)

شبهة

إذا كان شرك الأوّلين في القربة والشفاعة فإنّهم كانوا يطلبون هذا في الجاهليّة في الأصنام التي صوّروها للصالحين ومن هنا قال بعض الجهّال وبعض المغرضين وبعض مرضى القلوب وبعض المشركين: إن الآيات الواردة في الشرك إنّما هي فيمن عبد الأصنام ومن عبد الأوثان ومن عبد الأحجار والأشجار أمّا من تقربّ بالصّالحين كعيسى والملائكة وجميع الرسل والأنبياء والعلماء فإنّه لا يكون مشركاً .



نبطل هذه الشبهة بالقاعدة الثالثة

فالمشركين الذين أشركوا في عبادة الله تبارك وتعالى وإن تنوّعت صورُ من أشركوهم بالله تعالى فإنّ هذا لا يُخرجهم عن إطلاق حكم الكفر والشّرك عليهم فليس الشرك مختصّاً بالأشجار والأحجار بل كلّ من عَبَدَ غير الله تعالى فإنّه مشرك كافر.

❖القاعدة الثالثة

هذه القاعدة تفهمك أنّ (من أوسع أودية الباطل الغلوّ في الأفاضل) – العلامة المعلمي– النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أنّاس متفرقين في عبادتهم ، و قاتلهم جميعا ولم يفرق بينهم

- الكفر ملة واحدة من جهة كونه كفراً، لكن الكفر شُعَب والكفر مِلل من ناحية أخرى ، ولهذا شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في "التوسّل والوسيلة" يقول: بأن الكفر شُعَب كما أن الإيمان شُعَب ولهذا قال تعالى (إنّما النسيئ زيادة في الكفر يُضَلّ به الذين كفروا)

والجامع لهذا هو الضابط الذي ذكره لك شيخ الإسلام رحمه الله ، محمد عبد الوهاب في الثلاثة الأصول ، وهو أن من صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر ،ثمّ استدل بقوله تعالى(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)، فعُلِم من هذا أنّه لا فرق في جهة العبادة بين المعبودين فمن عبد شجراً أو عبد حجراً، كمن عبد ملَكاً أو نبياً مرسلاً، من جهة العبادة ، المعبودون لا يستوون عند الله ، كما مَرَّ معنا في الثلاثة الأصول، من عُبِد و هو راضٍ .

- قال المصنف: ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم، يعني :

✓ في عبادتهم

✓ وفي معبوديهم فلم يعبدوا إلهاً واحداً دون الله جل وعلا

ففي البخاري عن أبن عباس أن النبي عليه الصلاة والسلام دخل الكعبة وفيها ثلاثمائة وستين صنماً

- القتال فرع عن التكفير، أمّا القتل فقد يُقتل المسلم ،

- قوله: وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُفَرِّق بينهم: من جهة إقامة الحكم الشرعي عليهم والمقصود هم المقاتِلون ، وإلّا فإنّه قد نهى عن قتل الوليد والراهب في صومعته والمرأة والشيخ الكبير ولكن هؤلاء أيضاً لابد من إدخالهم في حكم الإسلام بإعطاء الجِزية (حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)

- خيارات الإسلام في الكفار :حكم الله في الكفار

- إمّا أن يدخل في الإسلام
- وإمّا أن يعطي الجزية

- وإمّا أن يقاتَل .والقتال إنّما يكون لمن كان حربياً ، فأهل الذِّمَّة لا يُقاتلون ، أهل العهد لايُقاتلون على تفاصيل .

- قوله تعالى(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله) ، قال العلماء : والمراد بالفتنة الشرك والكفر ، بمعنى أنّهم إذا تُرِكوا حملوا النّاس على الشرك وعلى الكفر فتقع الفتنة (والفتنة أشد من القتل)،(والفتنة أكبر من القتل) كما في الآيات الأخرى.

- متى لا تكون الفتنة ؟ إذا كان الدين كلّه لله ، لهذا قال الرب جل وعلا (ويكون الدّين كله لله) أي العبادة ، العبادة والطاعة وأمتثال الأوامر والنواهي وهذه هي الغاية من قتال الكفار. فليس من مقصود الشريعة قتل الكفار لِمُجَرَّد قتلهم، وإنمّا ليكون الدّين كله لله ، ولهذا جاء في الصحيحين في حديث أبي موسى الأشعري أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: [من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله]

- قوله (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) ليس هنا مختصاً بالسجود فلو دعاها أو ركع لها أو ذبح لها أو نذر لها أو إستغاث بها مشركا،وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة عند طلوع الشمس لأنها تطلع بين قرني شيطان وهناك يسجد لها النّاس ، فنهى عن أن يسجد في هذا الوقت ليُشابههم مع أنّه ساجد لله ، فكيف بمن سجد لها .

- الربّ إذا أُطلِق يُراد به المعبود(ولايأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا)

- قوله(ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين) معبودين، مطاعَيْن ،إنّما قال الله عز وجل لهم ذلك تقريراً وإنكاراً عليهم.

- قوله تعالى(أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) نزلت في الجن، كان العرب من المشركين يدعونهم ويتوسلون بهم ويستغيثون بهم ويسألون حوائجهم والجنّ في شغُل عنهم ، يعبدون الله تبارك وتعالى ويسألونه القربة إليه

- (إلى ربهم الوسيلة) والوسيلة هي الحاجة والقربة وليس في عُرف اللغة ولا في عُرف الشرع أن الوسيلة هي الجاه، أي جاه الشخص الآخر الذي يُتوسَّل به كما يُقَرِّره الجاهلون .

- اللات على القراءة المخفَّفّة : صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف لها أستار وسدَنة وحوله فناء معظَّم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومَن تابعها

- اشتقُّوا اسمها من اسم الله ، وقالوا اللاّت يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علُوّاً كبيراً

- وحكى أبن جرير عن ابن عباس ومجاهد والربيع ابن أنس أنّهم قرؤوا اللاّتّ بتشديد التاء وفسّروه بأنه كان رجلاً يلتُّ للحجيج في الجاهلية السَّوِيق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه

- العُزّى من العزيز ، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف وكانت قريش يُعظِّمونها ،
- مناة : كانت بالمشَلّل عند قُديْد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يُعظمونها ويُهِلُّون منها للحجّ إلى الكعبة ، ومناة عبارة عن حجر
- وهي مشتقّة من:
  - اسم الله المنّان
  - أو من منى لكثرة ما يمنى عليها من الدماء .

❖القاعدة الرابعة

هذه القاعدة مقارنة بين شرك الأوّلين وشرك المتأخرين

هذه القاعدة تُعظِّم الشرك في نفسك وتخيفك منه وتجعلك طالباً للحواجز والسُّتُور

- مشركو زماننا أغلظ شركا من الأولين : لأنّ:

☒ الأولين يشركون في الرخاء وفي السَّعة والدَّعة والراحة وعدم الخوف فيَسألون حوائجهم من آلهتهم ويذبحون لها وَينذُرون ، لكن إذا وقعت بهم الشدائد فإنهم يخلصون ، كما قال جل وعلا(أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) ، أمّا مشركوا زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة لايفرقون بين رخاء ولاشدة .

☒ المشركين الأولين كانوا يعبدون الأنبياء والصالحين والأولياء ويصورون لهم الصور والتماثيل وأما المشركون المتأخرون فإنهم يعبدون الفساق وربما الكفار والفجار من الباطنية وغيرهم وأنت إذا نظرت في كتاب طبقات الأولياء للشعراني رأيت في أوليائهم المحشش والعريان والسكران ولا تسأل عن الباقين .

- العلاقة بين القاعدة الرابعة وبين القواعد السابقة

الذي يظهر والله أعلم أنّ المصنف رحمه الله لما ذكر الثلاث القواعد التي ينضبط بها معرفة الشرك أراد أن يلفت إنتباهك إلى أنّك تستحضر أهمية المعرفة لهذه الأمور ويشتدّ الأمر إذا علمت أنّ الوقوع في الشرك في هذه الأعصار أشدّ عياذاً بالله من الشرك الذي كان عند الماضين ، وليس هذا مطلقاً كما هو معلوم فإن بعضهم ربما يخلص في الشدائد.

❖الضوابط الشرعية للجهاد كثيرة منها :

١- أنه من خصائص ولي الأمر وولي الأمر هو الذي يتولاه والدليل قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فلم يقاتلوا من جهة أنفسهم وكذلك الفتى الذي كان بعد موسى (موسى عبد نون) لما سار بقومه وهذا أمر معلوم ، وكذلك ما جاء في الصحيحين [الإمام جنة يقاتل من ورائه] .

٢- إعداد العدة ولا بد من التزيل (لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

وإلى غير ذلك من أحكام كثيرة لا يتسع المقام ، إنما أردت التنبيه عليها .

والجامع لهذا كلّه أن تكون كلمة الله هي العليا فإن توفرت هذه الشروط ولم تكن كلمة الله هي العليا فما الفائدة منها ؟ نسأل الله العافية .

❖الفرق بين التوسل والتبرك

التوسل نوع من الدعاء واقع بالأقوال ، والتبرك نوع من الوقوع بالذوات بمعنى أنه يتبرك بجسم أو شجر أو حجر أو ما أشبه ذلك وبينهما فرق من جهة اللفظ ومن جهة المعنى .

❖الفرق بين الكفر والشرك :

من جهة اللغة ومن جهة الشرع (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) ، هناك فرق بين الشرك والكفر.

لكن من جهة العموم فإن الشرك أعمّ من الكفر لأنّ المشرك جمع بين الكفر وبين الشرك فإنّه أشرك مع العلم وغطى الحق أيضاً .

انتهى و لله الحمد و المنّة

و صلّ اللهم و سلّم على عبدك و نبيك محمد و على آله و صحبه ومن والاه

